

عبّاد يحيى*

بصماته في كل ركن

في فلسطين وتغليفه بروح ليبرالية مشعة".
وعرض رئيس مجلس أمناء الجامعة أبرز
مراحل حياة برامكي مع بير زيت حين كان في
مدرستها طالباً، ثم دراسته في بيروت وتفوّقه
اللافت تحديداً في الكيمياء، وشغفه الكبير
بالموسيقى والمساجلة الشعرية وإشرافه على
نشاطات "سوق عكاظ" في بير زيت، وبعدها
التدريس في الكلية الجامعية لبير زيت، حتى
جاءت سنة ١٩٦٧ حين "داهمنا الاحتلال
البغيض وزلزل كل المعايير والمفاهيم وعلى
جميع الأصعدة. فكيف التعامل مع هذا الواقع
الجديد؟ والتحدي الكبير كان أن لا نضفي
شرعية على الاحتلال. وكان من أبرز سمات
هذا التحدي، إضراب المحامين عن العمل - على
أساس أن القضاء والقانون هما ركائز المجتمع
المدني الحر. وكان التعليم أحد الركائز الأخرى.
وتعالت الأصوات بضرورة إغلاق المدارس
احتجاجاً على الاحتلال ومن أجل إيجاد ضغط
عالمي لإنهاء الاحتلال. واستشارنا - جابي
وأنا - الأستاذ إبراهيم صنوبر مدير التربية في
حينه، فكرنا ملياً وقلنا يجب فتح المدارس وإلا
تراكمت الأمية سنة بعد سنة. وأشعر بسعادة
الآن لأنني شاركت في هذا القرار. فالرأي
العالمي لم يلعب أي دور كاف - حتى تاريخنا

أقامت جامعة بير زيت في ٤ تشرين
الثاني / نوفمبر ٢٠١٢ حفل
تأبين للراحل جابي أنضوني برامكي
(١٩٢٩ - ٢٠١٢) في قاعة كمال ناصر في
الجامعة بحضور عائلة الفقيد وأعضاء
مجلس أمنائها وحشد من أساتذتها وطلبتها،
إلى جانب عدد من الشخصيات الرسمية
والوطنية الذين أشادوا بكل ما قدمه الراحل
إلى الجامعة في جميع مراحل حياته، وتحديداً
حين قام بأعمال رئيس الجامعة خلال الفترة
١٩٧٤ - ١٩٩٣، ومساهمته بعدها في دفع
مسيرة التعليم العالي الفلسطينية.
ألقي كلمة الجامعة الدكتور حنا ناصر،
رفيق درب الراحل، وقال: "إن من لا يعرف
جابي لا يعرف إخلاصه وجهده وذكاءه
وروحه المرحية وقدرته الفائقة على القيادة
بحكمة وصرامة وتواضع، وكون صفاتنا
مختلفة متباينة كان حافزاً يمدنا بإيجابية
بنّاءة وفرت انسجاماً بيننا طوال الرحلة
الطويلة التي قضيناها في العمل المثمر ومن
أجل جامعة بير زيت وتطويرها، وكان الهدف
دائماً هو التركيز على الارتقاء بالتعليم العالي

شيء في بير زيت، وعندما يقول الناس روح بير زيت، فربما يعنون بذلك التراث الليبرالي المنفتح الذي أرساه جابي مع مَنْ سبقوه في بير زيت. "وظلّ الراحل مواظباً على حضور اجتماعات مجلس أمناء الجامعة حتى اشتداد المرض عليه واضطراره إلى المكوث في المستشفى في القدس. "لم يعد جابي، وغادر الحياة وهو في القدس - مدينته المفضلة ومسقط رأسه، نعم ولد في القدس وفارق الحياة فيها، وترك خلفه آلاف الأصدقاء الذين حضروا شعائر وداعه ليعبّروا عن حبهم وتقديرهم لجابي."

واختتم الدكتور حنا ناصر كلمته التأيينية بأبيات من الشعر، ثم قال: "نم قرير العين فإن ذكراك الطيبة وعملك الصالح وروحك المعطاء ستبقى إلهاماً ومصدر قوة لنا جميعاً، وستبقى بير زيت على العهد سائرة - عهد سنفتخر به دوماً وأبداً. نعم - نم قرير العين يا جابي، فقد تركت في الأجيال الصاعدة مَنْ سيكمل المسيرة وسيناضل أبداً لتحرير الوطن وتحقيق الأحلام. فهذه وصيتك سنراها بحب وحنو وعزيمة ووفاء." وأعلن بعد كلمته إنشاء كرسي أستاذية في الكيمياء، باسم كرسي د. جابي برامكي، ومنح جوائز سنوية باسم جائزة برامكي للتميز، تُمنح للخريجين في حفل التخرج.

كلمة السلطة الفلسطينية ألقاها رئيس الحكومة سلام فياض فمرّ على أبرز مراحل حياة الراحل، وقال: "إن لدينا الكثير لتتعلمه ونستلهمه من مسيرة حياة جابي برامكي، ودروسها الحافلة بالعباءة. وما أحوجنا إلى ذلك، خاصة في هذه الأيام. فقد كان للجامعات الفلسطينية، بفضل جهود المربين الأوائل، وجابي أحد أبرز هؤلاء، دور هام في إشاعة حرية الفكر والإبداع والتمرد على الاحتلال، والنهوض بالحركة الطلابية، لا بل

هذا. وما يلعب دوراً هو وجود أجيال متعلمة وواعية ومثقفة وصامدة."

وتوقف الدكتور حنا ناصر في كلمته عند حدث محوري في مسيرة التعليم العالي في فلسطين وكان للراحل فيه الموقف الأبرز وهو "القرار الجائر ٨٥٤ والذي طالب الاحتلال فيه أعضاء الهيئة التدريسية الأجانب أو حتى الفلسطينيين الذين وفدوا بتصريح زيارة للتدريس في الجامعة أن يوقعوا وثيقة ضد منظمة التحرير، وواجه جابي والأساتذة في جامعة بير زيت هذا القرار بتصميم شرس، وساهمت من الخارج في المعركة اليونسكو في باريس، والتقيت بمدير اليونسكو في ذلك الوقت - مختار إمبو - الذي سألني: ما هي جامعة بير زيت ولماذا كل هذا الضجيج حول أمر إجرائي؟ فقلت له في بير زيت قيادة وطنية مسؤولة ولا يمكنها توقيع مثل هذه الوثيقة - خاصة أن الشعب بأكمله يعترف بقيادة منظمة التحرير مثلاً شرعياً له، وقلت له في بير زيت أفراد مثل جابي لو عرفتهم - لعرفت أنهم لا يستكينون. ونجحنا في درء خطر القرار ٨٥٤ وأصبح القرار بفضل جابي ومَنْ معه من الأساتذة حبراً على ورق، وربما كانت هذه أهم قضية سياسية / تربوية نربحها في حينه على المستوى الدولي والمحلي."

وأعرب ناصر عن اعتقاده أن "بيرزيت ما كان لها أن تكون على ما هي عليه اليوم لولا جابي برامكي، وهذا ما استشعره حين عاد من الإبعاد وسلمه جابي مكتب رئيس الجامعة وكأنها أمانة ردت إلى صاحبها"، فالراحل "لم يحافظ على الأمانة فقط بل قام بتطوير الجامعة، وفي كل ركن من أركان الجامعة اليوم، ترى بصمات جابي، في الأنظمة وفي التعامل مع الطلبة، وعندما يذكر الطلبة والمدرسون الأيام السابقة فلا بد أنهم يذكرون بذلك جابي. روحه المتواضعة طغت على كل

عائلة الراحل عن فخرها واعتزازها بوالدها الذي سعى لتربيتها وإخوتها على حب الخير للجميع، والعطاء، والإيجابية، والحكمة، والنضال من أجل عدم الاستسلام، مشيرة إلى أنه كان الوالد والمرشد إلى الصواب بعيداً عن التحكم وفرض الرأي.

كذلك أُلقيت في حفل التآبين كلمات لخريجين من الجامعة عاصروا الراحل مدرساً ومعلماً، إلى كلمة لحملة مقاطعة إسرائيل ألقاها الدكتور عمر البرغوثي، إلى جانب عرض شريط من الصور لمراحل حياة برامكي مع بير زيت، وعزفت جوقة معهد إدوارد سعيد مقطوعة للراحل في تأبينه، وعُرضت أجزاء من فيلم لمؤسسة الدراسات الفلسطينية يوثق مراحل إجراء المقابلات مع الراحل برامكي لإعداد كتاب "جامعة بير زيت بين القدس وبيروت: مذكرات جابي برامكي" والذي سيصدر قريباً عن المؤسسة تخليداً لذكرى الراحل ووقوفاً على أبرز المراحل في مسيرة جامعة بير زيت، أول جامعة وطنية فلسطينية تحت الاحتلال. ■

والحركة الوطنية بشكل عام. وكان لها فضل كبير في بلورة وحماية المشروع الوطني، وصون الهوية الوطنية. كما رفدت مجتمعنا بمئات القادة وآلاف الكوادر العلمية والإدارية، ممن يساهمون اليوم في بناء مؤسسات السلطة الوطنية وما تشهده من تحوّل إلى مؤسسات دولة.

وألقى كلمة أصدقاء عائلة برامكي الدكتور ممدوح العكر فقال: "نستذكر الأيام السابقة في حياة المرابي برامكي وتاريخ نضاله في الساحة الوطنية، ودوره الكبير والمميز في التعليم وتطويره خاصة في جامعة بير زيت." واستذكر المطران عطا الله حنا في كلمة له أيضاً مقولة الراحل الدائمة عن مدينته: "القدس ستعود لأصحابها ولا بد أن يزول عنها ظلم المحتل، من أجل القدس نعيش ومن أجلها نموت"، مؤكداً أن المدينة المقدسة تفتقد ابنها الذي ولد فيها، وناضل من أجلها، ودافع عن وجهها العربي الفلسطيني الإنساني. وأعربت هانية جابي برامكي في كلمة

صدر حديثاً عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية

مقالات تاريخية تكريماً للأستاذ الدكتور بطرس أبو منة

إعداد وتحريير

عطا الله قبضي؛ جوني منصور؛ مصطفى عباسي

٣٥٢ صفحة ١٢ دولاراً